آليات تحقيق التماسك الإجتماعي

"رؤية أنثروبولوجية دينية"

إسماعيل شماخي موسى، جامعة البليدة 2، الجزائر

جمال معتوق، جامعة البليدة 2، الجزائر

ملخص

يؤدي استيعاب الأفراد لقيم الثقافة والإتفاق عليها، إلى توجيه سلوكياتهم وفق مضامين هذه القيم، بحيث تجعل الثقافة والقيم سلوكيات البشر في المواقف المتشابهة ذات طبيعة نمطية متكررة، إلى جانب أن الإتفاق بين أعاء المجتمع هو مصدر فعالية القيم في تأكيد التماسك الإجتماعي، فإن هذه القيم تتسلل من خلال التنشئة الإجتماعية لتشكل الضمير الفردي، بحيث تسيطر الثقافة على سلوكيات البشر من خلال وجودها الرمزي في فضاء المجتمع، وكذلك من خلال تشكيلها للضمائر الفردية، لتدفع الفرد باتجاه إنجاز سلوكيات تؤكد التماسك الإجتماعي ولا تضر به.

إن التماسك الإجتماعي لا يتحقق إلا بتعاضد جميع مكونات النظام الإجتماعي، وإذا ما اعتبرنا مثلا الأسرة هي النظام، فهي تتكون في بادئ الأمر بزوجين اثنين، وحتى يتحقق استقرارهما، وجب أن تتوفر فيهما المودة والتفاهم والتراحم، ويدرك كل منهما حاجة الآخر إلى أن يكمل نقصه، حتى يصلان درجة الكمال، وبالتالي الرضا، ثم إذا اعتبرنا الأسرة نسقا في المجتمع، وجب منها أن تدرك مسؤوليتها ودورها،

في تنشئة أبنائها، وفي علاقاتها مع باقي الأسر، وفق ما تمليه معتقدات وأعراف المجتمع الذي تنتمي إليه، ليتحقق الإستقرار والأمن الإجتماعي.

كلمات مفتاحية: الجماعة، التماسك الإجتماعي، التضامن، الرباط الإجتماعي، إستقرار المجتمع.

Résumé

La compréhension des individus aux valeurs de la culture conduit à orienter leur comportement tel que requis par les ces valeurs de circonstances, la culture et les valeurs font le comportement humain dans des situations similaires typiquement et de façon répétée, outre que l'accord entre les membres de la société est une source de confirmation de la cohésion sociale, socialisation contribuent à la formation de la conscience individuelle, dominée la culture sur le comportement humain par la présence symbolique dans la communauté, ce qui conduit à la cohésion sociale à travers le comportement des individus de comportement correct.

cette cohésion sociale ne peut être atteint qu'avec la coopération de toutes les composantes sociales du système, Si l'on considère, par exemple, la famille est le système, il se compose d'un mari et la femme, et même la stabilité doit être réalisé que l'amour est disponible, et chaque conjoint est conscient de l'importance de l'autre, même arriver score parfait, ensuite, si l'on considère le motif de la famille dans la société, qui doit être conçu de leur responsabilité et leur rôle dans l'éducation de leur enfant, dans leur relation avec le reste des familles, comme dicté par les coutumes, pour parvenir à la stabilité et à la sécurité sociale.

Mots Clés : groupe, cohésion sociale, solidarité, groupe sociale, stabilité sociale.

مقدمة:

يعتبر التماسك الإجتماعي من أهم المسائل التي تسعى الأنثروبولوجيا والعديد من العلوم لدراستها، حتى يفهم العوامل التي تحققه والعوامل التي لا تحققه، وبما أن المجتمع بصفة عامة ومجتمعنا الجزائري بصفة خاصة، مجموعة من الأنساق والأبنية غير الساكنة " المتحركة " والمتفاعلة فيما بينها، وجب معرفة الوسائل التي تحقق المصلحة والفائدة من هذا التفاعل، حتى يكون تفاعلا إيجابيا، يسوق المجتمع بعيدا عن الإنحلالات والشروخات والتفككات في علاقات أفراده، ومحققا ترابطهم واستقرارهم.

ونحن إذا تأملنا بناء الشخصية الإنسانية، فسوف نجد أنها تتشكل من ثلاث مكونات أساسية:

- المكون البيولوجي الغريزي، الذي يتجلى من خلال مجموعة من الإحتياجات التي تتطلب إشباعا.
- المكون الإجتماعي، الذي يتجلى من خلال ميل الانسان إلى الارتباط بالآخرين والتفاعل معهم.
- المكون الثالث يتكون من منظومات القيم والمعاني التي يشكل الدين والثقافة قاعدتها، والتي يستوعبها

الفرد من خلال عمليات التنشئة الإجتماعية المتتابعة، والتي تؤدي دورا أساسيا في تنظيم إشباع الفرد لحاجاته الأساسية، بما لا يضر إشباع الآخرين، إضافة إلى أنها تتولى تنظيم التفاعل الإجتماعي بين البشر.

إن هاته المكونات الثلاث سابقة الذكر، وجب أن تتكامل فيما بينها لتنشؤ فردا قادرا على التفاعل الإيجابي داخل الجماعة التي ينتمي إليها، وهذا لا يحدث إلا من خلال مجموعة من المتغيرات المحققة لهذا التماسك الإجتماعي؟ فماهي هاته المتغيرات؟ وهل التماسك الإجتماعي بناء يحوي مجموعة من الأنساق ضمنه؟

أولا: ماهية التماسك الإجتماعي:

1- **مفهوم الجماعة:** يرى "آش" "Asch" بأن الجماعة تتمثل في " مجموعة السلوكيات الشخصية غير الخاضعة للذاتية، والمتجهة نحو سلوك مشترك، مشكّلة بناءا متماثلا ومتناسقا، هاته السلوكيات، هي التي تخرج حقائق الجماعة إلى الوجود، وتحدث ظاهرة ثبات وتماسك عمليات الجماعة ".[1]

1 – محمد إبراهيم عيد. علم النفس الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص65.

إذن، تتميز الجماعة بعدة خصائص كالتجمع والتماسك والانسجام إضافة إلى أن عدد أفرادها يزيد عن اثنين، فضلا عن خاصية الإنتماء والعمل الجماعي من أجل تحقيق هدف مشترك، وتبادل التفاعلات والأدوار والوظائف.

2- **تعريف تماسك الجماعة:** يعرف "كارتريت و زاند" تماسك الجماعة بأنه "ما ينتج من التفاعل بين كل العوامل التي تدفع الأفراد للبقاء في الجماعة" [2] ويحددانها في مجموعتين من العوامل:

1. عوامل تؤدي إلى زيادة جاذبية الجماعة لأفرادها.
2. عوامل مرتبطة بدرجة جذب العضوية في جماعات أخرى.

وتتصف الجماعة ذات التماسك العالي أو المرتفع بمجموعة من الخصائص والتي يجملها الباحثون في:

1. الإعلاء من قيمة العمل الجماعي.
2. التضامن والمسؤولية الجماعية.
3. الروح المعنوية المرتفعة.
4. التنسيق بين وحدات العمل في الجماعة.
5. الاعتزاز والافتخار بالإنتماء إلى الجماعة.
6. إحساس الأعضاء باستمرارية جاذبية الجماعة.[3]

3- **أنواع الجماعات:** ويجب أن أشير إلى مجموعة من أنماط الجماعات التي يقرها علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا في الآتي:

أ- الأسرة: في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، (الأسرة أو العائلة) هي الخلية الأساسية في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، تتكون الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية، والروحية، والعقائدية، والاقتصادية، وللأسرة حقوق مثل:

حق الصحة، وحق التعلم، وحق السكن الأمن كما للأسرة واجبات مثل: نقل التراث واللغة عبر الأجيال، والوظيفة والأدوار، وهي تنقسم إلى قسمين:

2 - Cartwright & A. Zander. Group dynamics, Research and theory, evanston, 111 Row, Peterson, vol2, 1960. Pp. 214-231.

3 - محمد إبراهيم عيد. مرجع سابق، ص76.

- **أسرة نووية:** وتتكون من زوج وزوجة والأولاد.[4]
- **أسرة الممتدة:** وتتكون من جد وجدة والأولاد والأحفاد.

ب– جماعة القرابة: إن نظام القرابة هو في أساسه عملية عقلية وليس تطبيقية أو منهجية تسير على أسس عالمية ثابتة، فالناس ينظرون لنظامهم القرابي والعائلي،بتداخلات فلسفية، ودينية، واجتماعية وهذا ما يسبب اختلاف النظرات والإعتبارات الإجتماعية والفكرية لهذا النظام، فعلى الرغم من أن أنظمة القرابة تعتمد بشكل أساسي على العلاقة البيولوجية، فإنها ظاهرة اجتماعية وثقافية، فالطريقة التي يصنّف فيها المجتمع نظام القرابة المتبع لديه، هي ظاهرة ثقافية، اجتماعية، وليست بالضرورة أن تكون معتمدة بشكل علمي على الروابط البيولوجية (علاقات الدم)، فلفظة الأب، قد تطلق على الأب البيولوجي "genitorr"، وقد تطلق على من يقوم بتولي مسؤولية الطفل، وتنشئته وهو ما يسمّى بالأب الاجتماعي "Pater"، عندما يتم تأسيس الأبوة بالزواج، فإن الأب هو زوج الأم، وفي المجتمعات التي تمارس النساء فيها تعددية الأزواج، كما هو الحال في تودا الهند، الأبوة البيولوجية غير مهمة، فالأبوة يتم تحديدها من خلال طقس، مما يعني أن الأب الاجتماعي هو المهم هنا.

وبما أن الأنظمة القرابية هي خلق اجتماعي، فهناك عدة طرق للنظر للمصاهرة، وقرابة الدم وتصنيفهما حسب المجتمعات المختلفة، كما أن هناك اختلافات في أنواع الجماعات الاجتماعية المكوّنة من خلال القرابة، والطريقة التي يُفترض بهذا النظام، أن يعمل تجاه الأنظمة الأخرى، ففي الأنظمة ثنائية الانحدار، يتم التركيز على القرابات البيولوجية، على عكس القرابات المعرفّة اجتماعيا وثقافيا.[5]

جـــ– جماعة الجيران: يشير علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا إلى جماعة الجيران، بصفتها أحد جماعات المواجهة أو ما يطلق عليه مصطلح الجماعة الأولية، التي تفرض إقامة علاقات إجتماعية بين أعضائها، بحكم المجاورة المكانية، فعنصر المكان هو الجذر النفسي الذي يشد أفراد الجماعة إلى تأسيس علاقات المواجهة، وقد كشفت الإحصاءات الإجتماعية لبعض سكنات الأحياء الجامعية، أن الطلبة يميلون إلى تشكيل علاقات مع الغرف الأقرب تجاورا إلى غرفهم، وأن الأمكنة الأكثر شعبية كالمداخل المشتركة، تمثل تجسيدا لعلاقات أعمق من الأماكن المستقلة.[6]

---

4 – محمود البستاني. الإسلام وعلم الإجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص188.

5 – إدواورد ويستمارك. ت: مصباح الصمد وآخرون. موسوعة تاريخ الزواج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص ص203-238.

6 – محمود البستاني. مرجع سابق، ص197.

وأشير إلى أن ما سبق، يتجسد في مجتمعنا الجزائري بصفة عامة من خلال الأمثال الشعبية، "اشري الجار قبل الدار"، ويتجسد في قيم ديننا أيضا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صل الله عليه وسلم: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» [7]، وقد لاحظت في مجتمع تيميمون الصحراوي في دراسة لي، أن العلاقات بين الجيران يسودها الكثير من التواد والتراحم، فمثلا لما تحل ضيفا عند أحدهم، يقوم باستفاضة مجموعة من الجيران، ويعرفك عليهم ويعرفهم عليك، في جو يسوده التآخي والمحبة، كما أني التمست تقدير الجار من طرف الشباب والصغار كتقديرهم لوالديهم تماما، فعند تواجدي هناك مع بعض أهل المنطقة، كنا كلما مررنا على أحدهم جالس أمام بيته من الجيران، اتجهنا نحوه وألقينا التحية عليه، وجالسناه قليلا، بل في بعض الحالات نرتشف معه الشاي والفول السوداني، وبإلحاح منه.

د- جماعة الأصدقاء: تحتل جماعة الأصدقاء الموقع الرابع في سلم العلاقات الإجتماعية، لكنها تشكل فاعلية قد تفوق سابقيها، لأن العاطفة أو الإشتراك في القيم قد يفوق النسب والمكان، ويسمي علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا الجماعة هاته بالجماعة الأولية، كونها تساهم في عملية التنشئة الإجتماعية، فضلا عن كونها جماعة تتشكل فيها العواطف والتمثلات والأهداف المشتركة، يتحقق من خلالها التوازن الإجتماعي في نطاقه المحدد من طرف أعضائها.[8]

ه) الجماعة الشعائرية: وهي عبارة عن تلك الجماعات التي تربط بينها معتقدات دينية أو تقاليد أو عادات تعمق الإحساس المشترك بينهم، و تحقق توازنهم الإجتماعي، والأمثلة على ذلك كثيرة كشعائر الحج، أوشعائر الصلاة جين يصطف المصلون كالبنيان المرصوص.[9]

وقد اتضح لي جليا في الإحتفال بالسبوع في زاوية الحاج بلقاسم بتيميمون، خلال مجموع الشعائر المصاحبة لهذا الإحتفال، من تلاوات للبردة، والشيخ البغدادي، وكذا التويزة وبالضبط "توبزة آفراك"، كلها تؤكد على أن الجماعة الشعائرية لها دور كبير في تحقيق استقرار هذا المجتمع واستمراره.

تتعدد مستويات تفاعل الأفراد والإرتباط بالجماعة تبعا للعديد من المتغيرات المتداخلة، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي أو داخلي وخارجي، وبما أن سر استمرار الجماعات، هو التفاعل المُولِد للجاذبية بين أفراد الجماعت هاته، أضرب المثل بتجربة

7 – رواه البخاري في صحيحه، رقم5669.

8 – محمود البستاني. مرجع سابق، ص200.

9 – نفس المرجع، ص214.

"سكينر skinner" من جامعة هارفارد،[10] والتي يطلق عليها "علبة الحمامة" أو "صندوق الحمامة"، حيث قام بوضع حمامة في صندوق لأول مرة، ثم قام بتقديم الطعام لها مباشرة، فلم تهتم به قدر اهتمامها باكتشاف هذا العالم الجديد حولها، ثم قام بأخذ الطعام وتركها لمدة زمنية، ثم أعاد الطعام في منطقة معينة من الصندوق، فنقرته وأكلت منه، واستمر في هاته العلاقة التفاعلية معها، إلى أن تأكد من أنه يمكن التحكم في سلوك الطائر، لكنه ركز على أهم من ذلك، "العلاقة الجذابة الرمزية"، التي تنشأ بين المجرب والحمامة في تفاعلهما.

وقد لمست هذا التفاعل والجاذبية في الإحتفال بالسبوع في تيميمون، وبالذات في المرحلة التي يقومون بها بتلبيس الرايات وتزيينها، بحيث كل علم يمثل جد من الأجداد، أو تلميذ من التلاميذ، الذين درسهم الشيخ الحاج بلقاسم، صاحب فكرة السبوع في القرن التاسع للهجرة، إنك ترى تلك الجاذبية بين الأفراد بسبب هاته الرموز البسيطة في شكلها والعميقة في معناها، والتي تلقوها من أسرهم ومجتمعهم، فجسدوها على أرض الواقع سلوكا ملموسا.

ثانيا: أهمية التماسك الإجتماعي:

تكمن أهمية التماسك الإجتماعي من خلال العلاقات المتبادلة بين مختلف النظم الإجتماعية، لأجل تحقيق التكامل

[illegible]

التي ترى أن المجتمع هو مستوى اعلى من مجموع مكوناته:

[illegible]

متغيراته وركائزه التي يرتكز عليها، ومن هنا فإن التماسك الإجتماعي يكون الدرع الواقي من اي انقسام، قد تتعرض له الأبنية والأنساق التي تكون المجتمع.[11]

10 – وليام لمبرت. ت: سلوى الملا. علم النفس الإجتماعي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص153.

11 – حليم بركات. المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1998، ص488.

2- يحافظ التماسك الإجتماعي على استقرار المجتمع في حالة الأزمة التي قد يمر بها، والتي تتصل بأسس وجوده، كمواجهة المجتمع، أو حتى حالات الأزمات المحدودة التي تتدفق في مجرى الحياة اليومية، كالمرض والموت وكل الأفعال الشريرة والمنحرفة. [12]

3- يحافظ التماسك الإجتماعي على كثافة العلاقات الإجتماعية التي تضم جماعات المجتمع، في إطار وحدة كلية متماسكة، [13] وبالنظر إلى الإنهيارات التي تواجهها مجتمعاتنا العربية، والتي تقود إلى تشتت أجزاء وجماعات او فئات المجتمع، نتيجة النخب الحاكمة في تنمية هاته المجتمعات، أو عجزها عن مواجهة الفساد الذي أصبح بأشكاله المتنوعة يلون طبيعة الحياة اليومية فيها، تتأكد أهمية التماسك وضرورتها.

4- التماسك الإجتماعي يخلق الإحساس بالتضامن الإجتماعي، عن طريق الأنشطة الطقوسية الدورية التي يتجمع فيها الأفراد ويلتقون معا.

5- يعمل التماسك الإجتماعي على نأي أفراد الجماعة عن المشاغل اليومية للحياة الإجتماعية، وترتقي بهم إلى مرتبة عليا يشعرون فيها بالتوصل مع قوى علوية، هاته القوى العلوية المنسوبة إلى الدين أو المعتقد، أو القيم، يكون لها وجودها الطاغي والحاضر على النزعة الفردية"، إذن فالتماسك الإجتماعي يحارب النعرات والنزوات الفردانية ويخدم النسق الكلي " المجتمع"[14]

6- ينهض بالحياة الإجتماعية إلى المستوى الراقي والرفيع، ويعمل على رفاهية المجتمع، وتخفيف الآلام عن الغير، وذلك باحتوائه قيم التعاون والتكافل والتضامن.[15]

ثالثا: متغيرات تحقيق التماسك الإجتماعي:

1- **التسلح بسلاح العلم**: لا يتحقق التماسك الإجتماعي إلا إذا قمنا بإعداد جيل متثقف متعلم، ويتحقق ذلك عبر التنشئة الأسرية باعتبار الأسرة الخلية الأولى والأساسية في المجتمع، ولو نظرنا للأمم السابقة لوجدناها قد أدركت ذلك تماما، فالفراعنة

12 – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط5، 1984، ص27.

13 – عبد العال أحمد عبد العال. التكافل الإجتماعي في الإسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص ص21-22.

14 – حسن الشرقاوي. التربية النفسية في المنهج الإسلامي، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة، السعودية، د.س، ص23.

15 – عبد العال أحمد عبد العال. مرجع سابق، ص57.

كانوا يعدون أبناءهم إعدادا ثقافيا وعلميا، وهاهو أحد الحكماء يقول لإبنه: " إمنح قلبك العلم، وأحبه كما تحب أمك "، وهاهو آخر يقول لإبنه: " أذكر يا بني أن أية مهنة من المهن محكومة بسواها، إلا الرجل المثقف فإنه يحكم نفسه ".[16]

2- **طاعة الوالدين وأولي الأمر**: يؤدي هذا إلى تحقيق تماسك المجتمع، وقد قيل أن كتاب " الأخلاق " لـــ "فتاح حوتيب " قد اشتمل على وصايا وحث الأبناء على طاعة والديهم وولي أمرهم، حتى يعيشون حياة سعيدة، "يسعد الولد المطيع الخاضع، ويحيى حياة طويلة حافلة بالخير والبركة، وإني لم أبلغ هاته السن العالية، إلا ببركة الوالدين والملك، وقيامي بواجبي لهم خير مقام".[17]

3- وإذا انتقلنا إلى عصور النهضة بجوانبها العلمية والإجتماعية فنجد أن مسالة التماسك الإجتماعي، أخذ قسطا كبيرا من الإهتمام، ونبدأ من رابلي الفرنسي (1494-1553)، والذي اهتم بضرورة التنشئة السوية للطفل وتلقينه المهارات العلمية والفنية، حتى يكون بحرا من العلوم، وكان أول من تطرق إلى مسالة القراءة والملاحظة المباشرة في أرض الواقع، حتى يستطيع المتلقن من أن يفيد ويستفيد، [18] وهذا اختصارا للزمن وتسهيلا للمتلقن، فيرى بأم عينه ما تم تلقينه إياه، ويتعامل معه في أرض الواقع، فيزول ذلك الإبهام بينه وبين ما كان يجهله، وبالتالي يحدث ذلك الإنصهار والتأقلم.

4- وقد جاء "جون جاك روسو" بعد "رابلي" بحوالي قرنين (1712-1778)، وقد انتقد بشدة ظاهرة كانت شائعة بعصرهن وهي تسليم الابناء لمرضعات مرتزقات، وطالب من الأم أن ترعى أبناءها بيديها، حتى يعود عليها ذلك في المستقبل بالإيجاب، ولا تتمزق رابطتها بمن أنجبت، واعتبر الأم التي لا ترعى ابناءها "نصف أم"، "تعهدي الغرس الحديث، ورويه قبل أن يموت، فستكون ثماره سر سعادتك ذات يوم..".[19]

وجب أن نسقط ما قاله "جون جاك روسو" على مجتمعنا الجزائري، فالمرأة وجب عليها قبـــل الخروج للعمل أو البحث عنه، التفكير في الأولاد أولا، فمصلحتهم أولى من كل شيئ، حتى يكون هناك توازن في العلاقة بينهم وبين أمهم، وبالتالي يتفادى المجتمع مخاطر، قد تنجر وراء سوء العلاقة بينهما.

16 - حور محمد إبراهيم. الطفل والتراث، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ط1، 1993، ص74.
17 - نفس المرجع، ص75.
18 - نفس المرجع، ص83.
19 - نفس المرجع، ص84.

5- الأنا والشخصية: إن الشخصية جزء ضئيل من المجتمع،[20] وبالتالي وجب أن تتخلى عن ذاتيتها لصالح المجتمع الذي تنتمي إليه، حتى لا تكون سببا في اختلال توازنه، وذلك بوضعها حدا بين جانبها الطبيعي المنفصل عن باقي الأشياء، وبين جانبها الإجتماعي الذي يفرض عليها أداء وظيفتها الإجتماعية.

6- التعاون بين كافة الهيئات والمؤسسات من أجل تحقيق التماسك الإجتماعي، وجب أن تسير جميع المؤسسات الدينية والتربوية والإقتصادية وفق مبدأ الإندماج والتكامل من أجل الصالح العام (المجتمع)، فالتخصص وحده لا ينشأ عنه سوى إنتاج متفرق غير منظم، ولكي يكون إنتاجا متكاملا محققا مصلحة العامة، لابد من وجود تنسيق في العمل بين الهيئات السابق ذكرها.

وهناك متغيرات عديدة متعلقة بالتماسك الإجتماعي ومحددة له، منها ماهو متعلق بمجتمعنا الجزائري، كالتويزة والإحتفالات الدينية والفقارة، على سبيل المثال لا الحصر.

رابعا: التماسك الإجتماعي والبناء الإجتماعي:

تبرز أهمية التملسك الإجتماعي وحاجة المجتمع إليه، من اعتبار المجتمع كائنا عضويا، لايمكن أن يؤدي وظائفه الأسلسية إلا من خلاله تماسك بنيته الأساسية، وهي الوظائف التي يمكن أن نصنفها إلى ثلاث وظائف:

ير المجتمع باتجاه تأكيد حالة الإجتماع التي تعني اتفاق البشر وتعاونهم مع بعضهم في نوع من الإرتباط بذلك يحتاج المجتمع إلى الأفراد الذين يقومون بأدوارهم وفق إيقاع التنش

من إطار من التملس ي يسك الإجتماعي تدل إلى ثقافة وقيم مس تقرة

ومتملسكة بالإضافة إلى ذلك يحتاج المجتمع إلى عملية التعاون والتكيفن وهي العمليات التي تساعد على إنجاز التفاعل الإجتماعي السوي الذي يؤدي في النهاية إلى إنتاج وتوفير ما يسبع الحاجات الضرورية لأعضاء المجتمع الإجتماعي والثقافي.[21]

الوظيفة الثانية: حاجة المجتمع إلى التملسك افجتماعي لتطوير النظم الإجتماعية التي تشكل بناءه بالإتجاه الذي يدعم إستقراره، في هذا افطار يعمل المجتمع في الحفاظ على النظم الإجتماعية من خلال توجيه التفاعل في نطاقها بما يؤكد هويته، وحمايته هلته النظم من اي اختراق ات قد تضر بهوية المجتمع، إضافة إلى تطويرها بما يجعلها قادرة على التفاعل مع متغيرات الواقع المتجددة،

20 - نيقولاي برديائف. ت: فؤاد كامل عبد العزيز العزلة والمجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982، ص149.

21 - إيميل دوركايم. ت: الجمالي حافظ. في تقسيم العمل الاجتماعي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1982، ص78.

ولكي يحقق المجتمع ذلك، من الضروري أن يمتلك درجة عالية من التماسك باعتبار أن الإختراقات تكون نجاحا في حالة التفكيك الإجتماعي. [22]

الوظيفة الثالثة: حاجة المجتمع إلى التماسك والإستقرار الإجتماعي النسبي، حتى يصبح قادرا على استيعاب التغيرات التدريجية، التي تزيد من تماسكه لكونها توفر على القدرة والطاقة، اللتين سيتند إليهما في الإنتقال من الحاضر إلى المستقبل، وهو ما يعني أن التماسك الإجتماعي يؤسس في بنية المجتمع، القابلية للتحول والتجديد، كما اسس له القابلية للإستقرار والتماسك . [23]

يعتبر "ايميل دوركايم" و"تالكوت بارسونز" من أبرز علماء الإجتماع الذين أكدوا الإتفاق القيمي كقاعدة لتحقيق التماسك الإجتنماعي والإستقرار الإجتماعي، حيث يرون ان الثقافة منظومة القيم المتضمنة فيها هي التي تتولى ضبط وتنظيم التفاعل الإجتماعين الذي يتدفق باتجاه تأكيد التماسك والإستقرار الإجتماعي وذلك من خلال اربع ابعاد أساسية: [24]

- منها أن سلوكيات البشر محكومة برمزية الثقافة، التي توجد قيمها في فضاء المجتمع.

- ثم ان سلوكيات البشر مراقبة بواسطة الثقافة، من خلال تحولها إلى تقاليد ومعايير وأعراف.

- إلى جانب الضبط التي تمارسه مضامين الثقافة من خلال الضمير الفردي، بحيث يصبح سلوك الفرد منضبطا ما يؤكد التماسك والإستقرار الإجتماعي.

خامسا: التماسك الإجتماعي وروح التضامن:

إن انهيار التماسك الإجتماعي يمثل حالة استثنائية لحالة اصلية وقاعدية، هي حالة التماسك الإجتماعي، الذي يتاكد بمجموعة متغيرات، تعد القيم الدينية أهمها انطلاقا من المجتمعات البدائية فالمتقدمة والمتطورة، إذ نجد أنه في المجتمعات البدائية تؤدي القيم الدينية دورا أساسيا في تحقيق التضامن الإجتماعي، يصور هاته الحالة " دوركايم" "الأشكال الأولية للحياة الدينية" وتأكيده أن "موضوع العبادة هو المجتمع نفسه الذي يسعى إلى أن يؤكد ذاته بذاته، ويرسخ شرعيته وقيمه، من هنا فإن الله هو صورة المجتمع وليس المجتمع صورة الله"، ويشدد "دوركايم على أن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فقط بل تتجاوزها إلى السحر والطقوس والشعائر"، ومن وجهة نظر " دوركايم" فإن هاته الشعائر والإحتفالات عي التي تربط افراد الجماعة بعضهم مع بعض ولا يتمثل

22 - أنطوني جيدنز. مقدمة نقدية في علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، مصر، ط2، 2006، ص ص 25-26.

23 - Emile Durkheim. les formes élémentaires de la vie religieuse, Ed Alcan, Paris, 1927, p83.

24 - Parsons.T. the social system, routledge sociology classics, London, 1991, p78.

ذلك في تجمعات العبادة فقط، بل يتجلى أيضا في مراحل الإنتقال والأزمات التي قد تقع في حياة الأفراد والجماعات، مثل الميلاد والزواج والموت وهو ما يحصل لحد الساعة في مجتمعنا الجزائري من خلال التويزة، والتي تحقق التضامن الآلي الذي تحدث عنه "دوركايم" كسمة رئيسية من سمات المجتمعات البدائية، وهنا اشير إلى التضامن خلال وقوع وفاة مثلا، فيتضامن جميع الجيران مع أهل المصيبة، منهم من يفتح بيته، ومنهم من يطهو الكسكس، وهذا طيلة ايان العزاء التي تستمر لثلاث ايام وقد تصل إلى اسبوع، وقد سبق العالم العربي "عبد الرحمان ابن خلدون" "دوركايم" في تأكيد أهمية هاته القفيم في تحقيق التضامن الإجتماعي باعتبارها أحد متغيراته المحورية، إلى جانب دور التعاون الإقتصادي وسياسة الملك، حيث نجده يشير إلى "تزايد الفلاسفة حول هذا الرهان حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة طبيعية في الإنسان فيقررون هذا البرهان إلى غايته وأنه لابد للبشر من الحكم الوازع، وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر، وأنه لابد من أن يكون متميزا عنهم لما يودع الله فيه من خواص هدائية يقع التسليم له والقبول منه، حتى يتم الحكم فيهم من غير إنكار وتزييف، وهاته القضية للحكماء غير برهانية إذ الوجود وحياة البر قد تتم من دون ذلك لما يفرضه الحاكم نفسه أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته، فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء بالنسبة إلى الماجوسالذي ليس لهم كتاب هم أكثر أهل العالم، ومع ذلك فقد كانت للمجوس الدول والآثار فضلا عن الحياة، [25] وهو ما يعني أن القيم الدينية تقوي الأمة، بتأكيد لحمة تماسكها، ومن ثم تكون لها الغلبة، وفي ذلك يقول ابن خلدون ثانية "وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب أو الغلب" ويكون بالعصبية واتفاق الأهواء عن المطالبة وجمع القلوب وتاليفها ويكون بمعونة من الله في إقامة دينه، وسره أن القلوب إذا تعودت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا، حصل التنافس وفشى الخلاف، وإذا رفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله إتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة، والسبب في ذلك أن الصيغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد في أهل العصبية، وتفرض الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم إستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيئ، لأن الوجهة واحدة، والمطلوب متساوي عندهم، وهم مستميتون عليه، وأهل الدولة التي هم طالبوها، وإن كانوا أضعافهم، فأغراضهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لتقيد الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل.." [26]

25 - Emile Durkheim. Op cit, p75.

26 - عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. مرجع سابق، ص ص43-48.

ويقدم "ابن خلدون" أمثلة على ان تأكيد القيم الدينية للتضامن الإجتماعي يسبب القوة والغلبة "فقد غلبت جيوش المسلمين باعدادهم القليلة جيوش الفرس والروم في القادسية واليرموك، لأن الإجتماع الديني ضعف قوة عصبيتهم للإستبصار والإستماتة.." ثم يستمر قائلا:"واعتبر هذا في زمن الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة أبدى من "المصامدة" واشد توحشا فكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها فتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على الزناتة واستتبعوهم وإن كانوا في البداوة والعصبية اشد منهم، فلما حالوا عن تلك الصيغة الدينية انقضت عليهم الزناتة من جميع الجوانب وغلبوهم على الأمر وانتزعوه منهم والله غالب على أمره". [27]

وقد استخلصت من خلال تواجدي في حفلة السبوع بتميمون أن القيم الدينية ومن خلال الإحتفالات الدينية تؤكد روح التضامن والتماسك الإجتماعي حيث يصدر ذلك عن حاجة أفرادها إلى جملة من العواطف، التي تعيد تأكيد الأفكار الجمعية لديهم بصورة دورية ورتيبة بحيث تؤكد هاته العواطف وحدتهم وتماسكهم وتمنحهم هويتهم، فليس هناك مجتمع حديث أو قديم يمكن أن يستمر من دون مجموعة من الطقوس المشتركة التي تؤكد معتقداته ووحدته، [28] كما يمكن أن يدخل في ذلك الإحتفالات التي تقيمها الشرائح الشعبية لمقامات الأولياء والتي تؤدي دورا أساسيا في التأكيد على المعتقدات المشتركة بينهم، إضافة إلى تكثيف العلاقات المتنوعة بينهم بما ينعكس على تأكيد تماسكهم الإجتماعي. [29]

وغلى جانب أن القيم الدينية تحافظ على تضامن المجتمع من خلال المناسبات الإحتفالية فإنها تحافظ على ذات التماسك في أوقات أزمات الإجنماعية التي يمر بها المجتمع، من خلال ثلاث أبعاد لمواجهتها:

– الأول أن يستجمع المعاني الدينية في ذاته والمعاني التي تؤكد القوة في داخله إذا كان مؤمنا ملتزما بالعقائد والطقوس الدينية التي تشكل قيمة أو قوة مضاعفة إلى قوته

– الثاني أن يحدث الإلتحام بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها في مواجهة ما يهدد وجود الجماعة أو أحد أفرادها ومن ثم يشكل التماسك الذي تفرضه أو تتطلبه المناسبة قوة مضافة تدعم الفرد أو الجماعة في مواجهة الأزمة.

27 – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مرجع سابق، ص ص43–48.

28 – أنتوني غيدنز. ت: الصباغ فايز. علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001، ص ص572–574.

29 – نفس المرجع، ص ص 572–574.

– الثالث أن يلجأ إلى القوى السماوية التي يعتقد أنها سوف تقف إلى جانبه ومن ثم سوف تدعم قدراته أو قدرات الجماعة. [30]

يتأكد التضامن الإجتماعي من خلال التدين الشعبي ، كما يطلق عليه الأنثروبولوجيون، في العديد من مناطق بلدنا الجزائر بالأخص في الغرب الجزائري، والجنوب الغربي، من خلال طقوس التقرب من أولياء الله الصالحين بالتبرك أو التوسل بهم، الذي يؤدي إلى تقوية شبكة العلاقات الإجتماعية، [31] إذ أنه لما تقام للولي إحتفاليه فإن الناس يجتمعون بالمكان المحيط به بحيث يتضاعف عدد البشر بالمكان أعافا كثيرة للتبرك وتبادل السلع والخدملت، والمشاركة والإثارة بوسائل التسلية والسحر بحيث يؤدي ذلك إلى تعزيز علاقات القربى وغيرها من العلاقات والروابط، التي تؤسس شبكات علاقات وروابط جديدة، بين الذين جاءو من مناطق متباينة التباعد، وقد يؤدي غيابها إلى وقوع فراغ إجتماعي وثقافي، لأن هاته الظروف الإحتفالية "الأناشيد و الأهازيج والقصائد والإيقاعات والرقصات التي ترتبط بالممارسات والطقوس التي تثير الطرب في النفوس"، إلى جانب أنها تعمل على التفريغ التوتر الإجتماعي المختزل سواء في بنية البشر أو حياة المجتمع المحلي، من شأنها أن تنشر حالة من الإيجابية والتواد داخل بناء الجماعة، ثم أن هاته الإحتفالات تعد مناسبات فريدة من نوعها "للإتصال الإجتماعي خصوصا بالنسبة لأهل البادية الذين يعيشون منعزلين في دوائرهم الصغيرة حياة رتيبة ذات أفق محدود" بحيث تمتلك الجماعات في هاته الإحتفالات المناسباتية، شبكة علاقات إجتماعية أكثر كثافة من ذي قبل، ومن الطبيعي أن تصبح الجماعة أكثر تماسكا من ذي قبل، [32] فقد أضيفت إليها قيم جديدة تتمثل في تأسيس علاقات جديدة وتفريغ توترات مختزنة ومكتومة، إضافة إلى إحياء وتنشيط العواطف الدينية وتفعيل دورها في توجيه سلوكيات الجماعة وفي الأخير وجب أن نقول أن الزوايا والأولياء يعبرون عن سلطة معنوية تضبط سلوك الناس وتحكمهم، فهي تحفظ الحدود بينهم فهي تحتضن مساكنهم ومساكنهم تحتضنها وهنا أضرب المثل بزاوية الحاج بلقاسم التي يتوسط موقعها القصر كما أنها تشاركهم مزارعهم فالزاوية لها مزرعتها الخاصة بها يشتغل بها تلامذتها بعد إنتهاء حلقات القرءان، وهكذا تبقى محافظة على إستقرارها وإستمرارها بمالها الخاص، وبما تحصله من مداخيل هاته المزرعة، فهي بذلك قدوة للناس، في

30 – عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون. السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2002، ص ص 7-11.

31 – جاك بارك وآخرون. ت: عبد الأحد السبتي. الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص50.

32 – نفس المرجع، ص53.

عدم إتكالها على التبرعات وحسب، فتزرع في النفوس روح العمل والنشاط، بالإضافة إلى توفيرها الملاذ الأمن للوافدين والزوار من مأكل ومشرب ومرقد.

أما الصالحين فلا ينازع أحدا في الدور الذي يلعبونه كوساطة بين الناس والله، إن سلطة الولي الصالح تقوم على البركة، فهم يعطون الأشياء والكائنات القوى الخارقة، سواء في حياتهم أو مماتهم، فقد روى لي أحد كبار منطقة تميمون، أن الولي الصالح "با صباح" وهو ولي صالح بالمنطقة، نعت بهذا الإسم بعد أن حدثت له كرامة خارقة بعد وفاته، تجادل أبناء قصره على وقت دفنه، فتركوه للصباح، ولما عادو صباحا باكرا لم يجدوه، ووجده سكان بلدة أخرى بأوقروت مكفنا ومغسلا في مسجدهم، فصلوا عليه ودفنوه، ومنذ ذلك اليوم صار يلقب بـــ "با صباح"، هاته القوى الخارقة يرى الناس أن مصدرها قوة إلهية، وهذا لا يخفي أن كثيرين يستخدمون إنتماءا لسلالات معينة قصد الإستحواذ على الأرض والممتلكات.

سادسا: التماسك الإجتماعي كرباط إجتماعي:

1- الرباط الإجتماعي خاصية إنسانية: إن بنو الإنسان كائنات اجتماعية بدرجة عالية، لا يستطيعون العيش خارج نطاق المجتمع، إلا بعد أن يتعلموا مهارات عديدة، فالمجتمع يقوم بوظائف تكيفية تزيد من فرص عيش الإنسان وبقائه، كما أنه لا يفرض وجوده، إلا عن طريق الأفراد الأحياء الذين يؤلفونه، والمجتمع لا يعمل بل الأفراد هم الذين يعملون، والمجتمع مؤلف من أعضاء ينتمون إلى نوع واحد، هو النوع الإنساني، فالكلاب والقطط المدجنة والتي تعيش معنا في بيوتنا، ليست جزءا من المجتمع.[33]

إن المجتمع تنظيم متميز إقليميا، ويمثل حيزا بحدود واضحة، يدافع الأفراد عنها إذا تعرضت لتعديات المجتمعات الأخرى، ما يعني وجود روابط تفاعلية ثابتة القوة بين أفراده، وقد توجد هاته الخصائص في المجتمعات الحيوانية الأخرى كمجتمع النمل والنحل، لكن هناك خاصيتين موجودتين في النوع الإنساني فقط هما:

الأولى: أن أفراد المجتمع يعتمدون على بعضهم البعض، اعتمادا متبادلا، بدرجة لا تجاريها المجتمعات غير الإنسانية، ذلك أن رفاه الأفراد وبقاؤهم، يعتمد اعتمادا كبيرا على سلوك الأفراد الآخرين.

33 – بيتر فارب. ت: الكرمي زهير. بنو الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص248.

الثانية: ذلك أن المجتمع الإنساني، يتميز بقدر كبير من الإستقلال الذاتي، بحيث لا يخضع لسيطرة أحد مكوناته، فسكان دولة ما يكونون مجتمعا، بينما لا تعتبر العائلات، أو العشائر، أو سكان قرية ما، مجتمع بالمعنى الصحيح.[34]

يبدأ الفرد في تعلم أصول المعاملة مع غيره منذ نعومة أظافره، وفق ما تمليه الثقافة التي ينتمي إليها، وتسمى هاته العملية في علم الإجتماع والأنثروبولوجيا "التأهيل الإجتماعي"،[35] وتستمر معه طوال حياته، وإن تقيد بها فسيكون فردا صالحا سويا في مجتمعه، وإن خالفها فسيكون ضمن فئة الشواذ سلوكيا، وتعاقبه مؤسسات الضبط الإجتماعي، حسب درجة المخالفة، حتى يعود للتصرف السليم الذي يجب أن يسلكه، ولا يتبع حيوانيته وغريزته التي تجعل منه كائنا حيوانيا بعيدا عن معنى إنسانيته.

إن التطرق لسلوك الإنسان المنحرف، يقودنا للحديث عن الجريمة، فهي تختلف من مجتمع لآخر، وما يجرمه مجتمع ما، قد لا يجرمه مجتمع آخر، فالزنا في مجتمعنا الجزائري، جريمة خلقية، ينبذها المجتمع ويمقتها، في حين تعتبره المجتمعات الغربية حرية شخصية، وضرورة بيولوجية، والربا محرم في الثقافة الإسلامية، في حين البروتستانية التي ابثقت منها الرأسمالية تعتبره سبيلا لتحقيق الأرباح، "دعه يعمل، دعه يمر"، ويعتبر "دوركايم" في كتابه "في تقسيم العمل الإجتماعي"، أن درجة الجريمة تتحدد من خلال ما تلحقه من ضرر على الصالح العام، يقول: " إن جريمة القتل في القانون الجزائي لأكبر الشعوب مدنية، يعد من أكبر الجرائم، ومع ذلك فإن الأزمة الإقتصادية أو الهبوط المفاجئ في سوق البورصة، أو الإفلاس، كل ذلك يوقع المجتمع في اضطرابات، أخطر من حادثة قتل مفردة ".[36]

2- الرباط الإجتماعي والتحولات الإجتماعية والثقافية:

ترتبط مسالة الرباط الإجتماعي ارتباطا كبيرا بمسألة التلاحم والتآخي والتعاون، ومن هاته الناحية يمكن القول بأن المجتمع الجزائري عرف ويعرف حركة ديناميكية قيمية كبيرة، هذا بفعل تعدد وتعاقب مختلف الثقافات خلال مساره التاريخي، واحتكاكه بها وبمختلف الحضارات التي مرت به "سواء الرومانية، القرطاجية، العثمانية، العربية، الوروبية"، كل هذا أحدث فسيفساء وتنوع ثقافي حاول أفراد المجتمع الجزائري التعايش من خلاله، فأدى إلى ظهور تناقضات بين عناصر هاته الثقافات، الشيئ الذي يشكل

34 – نفس المرجع، ص248.

35 – نفس المرجع، ص249.

36 – إميل دوركايم. مرجع سابق، ص90.

عائقا أمام تحقيق ذلك التكامل والتجانس بين أفراد المجتمع، وكل هذا تم بعد بروز نظام قيم حديثة، وذلك بدءا من الإحتلال الفرنسي وانتشارها أكثر مع التفتح على العالم وعولمة الإتصال.

ينتقد "راسل" اصحاب النظرية التطورية، وقولهم أن الصراع من أجل البقاء هو القانون السائد في عالم الأحياء، أي أن كل ما يساعد على استمرار الجنس البشري هو الخير، وكل ما يعوق هذا البقاء هو الشر، يؤكد "راسل" أن البقاء شرط ضروري ولكنه ليس في حد ذاته الغاية النهائية من الأخلاق والقيم، وإذا كانت الغريزة الإجتماعية، والإرتياط بين أفراد المجتمع أمرا ضروريا للبقاء، فإن حرية الفراد الشخصية أهم الشروط للرقي بهذا البقاء، ومن هنا ظهرت مشكلة التوفيق بين سلطان الدولة، وحرية الفرد.

يقول "راسل" في كتابه "الفرد والسلطة" الذي نشره عام 1949، "إن مشكلة التعارض بين بين سلطة المجتمع والدولة وحرية الفرد، هي مشكلة قد ظهرت منذ العصر اليوناني، ومازالت إلى اليوم، وهي تتمثل في الجدل القائم بين النظم الراسمالية التي توفر الحرية المطلقة لقلة من الأفراد، وفي النظم الإشتراكية، التي توفر مستوى أدنى من الضمان، لكنها متساوية للجميع، والصراع بين الجميع لا يحسمه إلا العلم، الذي سيؤدي في المستقبل إلى التوفيق بين إتاحة الحرية، وضمان البقاء والإستقرار للجميع". [37]

مما يجعل من موضوع الرباط الإجتماعي موضوعا يستهوي الكثير من الإختصاصات، ويشكل إحدى الرهانات الأساسية للجزائر المعاصرة، مرتكزا على محوري التقليد والحداثة كما يشير إلى ذلك "كمال راربو" في قوله: "وبما أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، فهي بحكم التحولات التي تعرفها على جميع المستويات الإقتصادية، الإجتماعية، السياسية، والثقافية فهي تمر بمرحلة إنتقالية من مجتمع "محلي تقليدي" إلى مجتمع "تعاقدي حديث"، مما يؤثر على مسألة الرباط الإجتماعي، [38] أما الباحث "محمدبوخبزة" فيقول: "ومما يزيد مسألة الرباط الإجتماعي أهمية، هي تلك الظروف المتسمة بالأزمات والصراعات والبحث عن الذات، وكذا التناقض الموجود بين ثوابت المجتمع الجزائري المحلية والتقليدية، وتلك الممارسات اليومية المنافية لهذه القيم والثوابت". [39]

37 – أميرة حلمي مطر. مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1978، ص45.

38 – رشيد حمدوش. "بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة"، مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع11، 2013، ص97.

39 - نفس المرجع، ص98.

بعبارات أخرى، يمكن القول بأن جدلية الرباط الإجتماعي تكمن في ذلك الجدال والتناحر القائم بين الرجوع إلى مصادر ومراجع القيم الأصلية والأصيلة، والإرادة في تصور مشروع جديد لقيم حاضرة ومستقبلية، وفي ظل كل هاته المعطيات وما يعرفه المجتمع الجزائري من تغيرات وتحولات، نجد أن الفئة التي تشكل الحلقة الضعيفة والهشة للمجتمع هي فئة "الشباب" التي يجب أن تقوم بخيارات واختيارت ضمن هذا الجو المعقد، لكن عملية الإختيار هاته صعبة ومعقدة هي الأخرى.

يجد هؤلاء الشباب أنفسهم أمام نماذج مختلقة ومتناقضة بدءا من الأسرة، المدرسة، فالشارع، ثم مختلف وسائل الإعلام الوطنية والدولية، وصور أخرى تستوقفهم وتتخلل مخيلاتهم وتصوراتهم، [40] تقول: "كاترين جو كالب" "إن ما يهيمن على كل النقاشات الدائرة حول الثقافة والمكون الثقافي في الجزائر هو تلك الإزدواجية في الطرح والمتمثلة في النقاش حول التقليد والحداثة، أو الأصالة والحداثة"، إننا أمام حشد وكم كبير كما يشير إلى ذلك "كمال راربو" من الكتابات التي تتناول هاته المحاور التي تسيطر على الحقول السياسية، الإجتماعية والثقافية الجزائرية منذ عقود كبيرة وأعيد إحياء النقاش فيها خلال الثمانينيات، [41] خاصة بعد الإنتفاضات الشبانية التي عرفتها الجزائر وإثارة المسائل الثقافية وكل الآثار التي خلفتها السياسة الصناعية غير الناضجة من الآفات كالهجرة الريفية مثلا وما أدت إليه هي الأخرى من مشاكل عرفها ولا يزال يعرفها المجال الحضري، فعلماء الإجتماع والأنثروبولوجيا، أو علماء النفس الإجتماعي أو علماء النفس، يتفقون حول نتيجة واحدة "تعايش وتواجد" لنموذجين، لثقافتين متناقضتين ومتضاربتين، ولقد أسهب الكثير من الباحثين أمثال "ب. إيتيان" و"مقيدش" وغيرهم في هذا السياق، في القول: "أن النقاش الثقافي يمكن حصره في مجال يتصادم فيه الماضي بالحاضر، العادات بالتطور والتقدم، التكنولوجيا كذا المعرفة بالأمية والجهل، [42] هذا ما لا يتفق معه الباحث " كمال راربو" بحيث يبدي تحفظاً حيث يرى بأن كل هذا "النقاش ماهو إلا ثمرة لصراع رمزي وعلمي أي سياسي- اجتماعي" يرمي إلى تحديد المسألة الثقافية في الجزائر بمعناها المهيمن والشرعي وليس الإكتفاء بتحديد الحداقة والتقاليد والعلاقة بينهما في إطار حقل ثقافي جزائري محايد وخال من النزاع ويشير الكاتب كذلك، بأن هذا الصراع والهيمنة الرمزية التي ترمي لتفسير الوضعية الثقافية بالجزائر لها آثار تتركها على الجسم الإجتماعي لأن "العلم" "المعرفة" ليس محايدا كما يقول، [43] ومن بين هاته الاثار تلك الصراعات العلمية

40 - رشيد حمدوش. مرجع سابق، ص50.
41 - نفس المرجع، ص98.
42 - نفس المرجع، ص98.
43 – نفس المرجع، ص98.

القيمية لهاذين المفهومين، فغالبا ما يعبر ويقصد بالتقاليد معنى "التخلف"، وعلى العكس يأخذ مفهوم الحداثة أو العصرنة معنى المستقبل، التكنولوجيا والتفتح، عذا ما يؤثر بالطبع على النسق التصوري للأفراد، ما يؤثر على ترابطهم وتماسكهم الإجتماعيين.

وما يمكن تسجيله و ملاحظته أن هاته المجتمعات غالبا ما تعجز عن التوفيق بين قيم الثقافة المحلية وقيم الحضارة الصاعدة، فنجد مثلا أن الحكم السياسي في جزائر الإستقلال لم يستطع أبدا الفصل في هذا الصراع بل أنه يرتكز أحيانا على الأول "تيار الأصالة" وأحيانا على الآخر "الحداثة".

ويشير"حسن حنفي" بأن الجمع بين الأصالة والحداثة من البديهيات، بحيث يرى فيهما وحدتين متجانستين قابلتين للإجتماع والترابط، بحيث لا تحدث هاته الوحدة العضوية بين الطرفين الأصالة والحداثة إلا بوجود طرف متوسط تتحقق فيه هاته الوحدة، هذا الطرف الثالث هو الواقع، حياة الناس في العصر الخاضر، روح العصر، دور الأجيال، ويضيف بأن هاته الوحدة لا تتحقق نظريا بل علميا في الزمان والمكان، وفي غصر معين ومكان معين وجيل معين.

مما سبق يتضح أن الأزمة التي تعيشها بلداننا العربية اليوم لا تقتصر في أسبابها العميقة على طبيعة الأنظكة الحاكمة، ومدى مشروعيتها أو أهليتها للقيادة، بل إنها في الواقع أزمة مجتمعية شاملة تطاول كل مناحي حياة هاته المجتمعات، وهي في الوقت نفسه حصيلة حقبة ممتدة في التاريخ تميزت بركود المجتمعات العربية وعطالتها وتخلفها عن مواكبة التطور العلمي منذ مطلع العصور الحديثة، فلقد امتدت هاته الحقبة أكثر من خمس قرون مضت، أي مند أن طويت صفحة حكم المماليك، وما خلفته الدولة العثمانية في بداية القرن 16م، وهي المرحلة التي شهدت فيها أوربا تقدما نوعيا هائلا في شتى الميادين، فمن الإكتشافات الجغرافية إلى بدايات النهضة في إيطاليا، وإلى الإصلاح الديني، ومن ثم غصر الأنوار إلى الثورات المعرفية الكبرى الثلاث التي حررت وعي الفرد من هيمنة الفكر الغيبي وجعلت الإنسان في محور عالمه، والمسؤول الأول عن أفعاله، والمقرر لمصيره، وهي ثورة "كوبرنيكوس الكوزمولوجية"، وثورة "داروين البيولوجية"، وثورة "فرويد السيكولوجية"، وتوجت سيرورة هذا التطور المتكامل في البلدان الأوروبية بتحقيق أكبر إنجاز مجتمعي ألا وهو بناء دول مدنية حديثة، دول القانون والمؤسسات، دول المواطنين الأحرار المتساوين في الحقوق والواجبات. [45]

45 – حبيب حداد. "محنة الصراع بين الأصالة والمعاصرة في الحضارات العربية"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 438، 2015، ص116.

ومنذ الصدمة الأولى بمركز الحضارة العالمية أن ذاك التي نجمت عن غزوة نابليون لمصر عام 1798م، والغزو الفرنسي للجزائر عام 1830م، ومجيئ أول مطبعة إلى لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، بدأ الوعي والشعور الشعبي يستيقظ ويتحسس الواقع المتخلف التي تعيشه بلدان السلطنة العثمانية، وبلدان الشرق بصورة عامة، وإدراك حجم الهو الفاصلة بين مجتمعاتنا والغرب، و لم تكن لتنفع أو تقنع في تبرير أو تفسير هذا الواقع، تلك المواقف والدعوات التبريرة الصادرة عن الطرفين، مثل: الغرب غرب، الشرق شرق، لا يمكن أن يلتقيا، وأن حضارة الغرب مادية وعلمانية، وحضارة الشرق روحية غربية.

ومن الطبيعي أن تكون الإستجابة الأولى لهذا التحدي الحضاري الذي ترافق لاحقا السيطرة الإستعمارية لمعظم البلدان العربية، من قبل رموز الفكر الإصلاحي الذين ركزو على أهمية تشخيص مكامن الداء في حياة المجتمعات العربية من أجل إتياع أفضل المسالك لإصلاح أحوالها المتخلفة، وقد تتابع دور هؤلاء الرواد منذ منتصف القرن التاسع عشر فمن رفاعة رافع الطهطاوي إلى خير الدين التونسي، إلى البازجيين وبطرس البستاني إلى جمال الدين الأفغاني إلى محمد عبده، وفرح أنطون وعبد الرحمان الكواكبي وغيرهم، لكن هذا المصار العام للفكر العربي الإصلاحي شهد وخاصة بعد إنتهاء الخلافة العثمانية تميزه وإنقسامه إلى تياريين رئيسيين: [46] الفكر المدني الليبرالي الذي رطز على ضرورة التخلص من الهيمنة الإستعمارية، وإنتزاع الإستقلال الوطني وعلى أهمية تحقيق النهضة القومية، واللحاق بركب الأمم المتقدمة، وذلك بالإستناد إلى ثلاث معطيات، وعي الحاضر، إستعاب دروس الماضي، والأخذ بأسباب الحضارة الأروبية الصاعدة ، التي هي في حقيقتها خلاصة الحضارة الإنسانية التي أسهمت فيها أمم وشعوب كثيرة، غير أن هذا الفكر الليبيرالي لم يكتب له أن يقوم بوظيفته التي من المفترض أن يضطلع بها في مجتمعاتنا ، كما إضطلع بها في المجتمعات الأوروبية وذلك لأسباب عديدة في مقدمها مستوى تطور المجتمعات العربية، ومحدودية دور الطبقات الوسطى التي لاشك في أنها الأدات والحامل الأجدر للمشروع الحضاري الليبرالي الإجتماعي الديمقراطي، وهكذا رأينا أن بعد حصول البلدان العربية على إستقلالها، ومواجهتها لمعركة التنمية الشاملة والتوحيد القومي لكياناتها العديدة تراجع دور الفكر الليبرالي، ممثلا بمناهج التفكير العلمي وبقيم الحرية والديمقراطية والحداثة، لصالح التيارات الإيديولوجية والسياسية مثل التيارات القومية، والوطنية، والإشتراكية، واليسارية، والماركسية، وغيرها، التي كانت أبرز إخفاقاتها حتى اليوم فشلها في بناء دول مدنية حديثة في أقطارها.

46 - حبيب حداد. مرجع سابق، ص117.

أما التيار الإصلاحي الآخر، فقد تمثل في بدايته بالإطار العام للفكر السلفي الإصلاحي، الذي أولى اهتمامه الأساسي لإصلاح المجتمعات العربية بالعودة إلى الأصول، وتركيزه على مفهوم الأصالة وفق رؤيته لها، وعلى استعادة عصر المسلمين الذهبي الماضي عن طريق الجهاد، وإقامة دولة الخلافة من جديد، ومع تقدم الزمن، وفي مواجهة التحديات، الذاتية منها والموضوعية، الداتخلية والخارجية، التي واجهتها عملية التحرر الشامل للكيانات العربية، راينا تيار الفكر السلفي في إطاره العام، يحوي ثلاث تيارات فرعية متمايزة في أساليبها، ومشتركة في مرجعيتها العقيدية وهي تيار الإسلام الدعوي، وتيار الإسلام السياسي، وتيار الإسلام الجهادي التكفيري، هكذا عاشت المجتمعات العربية طوال نصف القرن الماضي، وعاش الفكر العربي خصوصا، صراعا محتدما، وتناقضا معيقان بين الثنائيات التي تواجهه والتي تحولت إلى إشكاليات معيقة لتجدده وعصرنته، مثل: الموقف من الأصالة والمعاصرة، والموقف من العلم والدين، والموقف من العلمنة والديمقراطية، والعلاقة بين الهوية الوطنية والهوية العربية الجامعة، والهوية الديمقراطية السياسية أو العدالة الإجتماعية، وأيهما يسبق الآخر التحرر أو الوحدة أو تحرير فلسطين، وأخيرا وليس آخرا، العلاقة بين الذات والآخر، أي الكل الإنساني الأشمل.[47]

إن ما هو مطلوب منا اليوم حيث مجتمعاتنا العربية تعيش منعطفات مصيرية تهدد كياناتها، وتنذر بإنتقالها من حياة القهر والإستيلاب والإستبداد إلى بدائل أشد خطورة وظلمة، وهي متمثلة في انتشار الفكر التكفيري الإرهابي، مثل داعش، وجبهة النصرة، وبقية فروع القاعدة وأضرابها، والتي تحاول اختطاف مجتمعاتنا وإرجاعها إلى ابعد أغوار الماضي، وحرمانها من إمتلاك أبسط قيم ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

إن ما هو مطلوب هو أن يتطور ويتجدد الفكر العربي السياسي، ليكون في مستوى التحديات والمهمات المطروحة، وهذا المستوى المطلوب لا يمكن أن يكون إلا ثورة ثقافية فكرية جذرية، تعيد قراءة الموروث بمنهج نقدي تاريخي، كما أسلفنا، وتعيد بناء العناصر والمقومات الأساسية للخصوصية الوطنية التي تكفل التفاعل الإيجابي، أخذا وعطاءا، مع حضارة العصر، وهاته الغاية لا يمكن بلوغها، كما علمتنا دروس التاريخ القريبة والبعيدة إلا في ظل مشروع تأسيس دولة مدنية حديثة.

47 - حبيب حداد. مرجع سابق، ص117.

خاتمة:

لقد تطرقت في هذا البحث إلى الدور الذي يلعبه التماسك الإجتماعي في بناء شخصية الفرد الإنسانية، وكيف ينعكس ذلك على استقرار المجتمع ككل، وإن اختلفت وجهات النظر في كيفية تحقيق ذلك، كـــ " دوركايم " الذي يرى أنه من أجل تحقيق التماسك الإجتماعي، وجب أن يتخلى الفرد عن أنانيته، ويخضع لقيم ومبادئ الجماعة، كما سبق وأن أشرت إلى ذلك في مقارنته، بين جريمة القتل كعملية مفردة تؤثر على نسق جزئي، وبين مسألة الأزمة الإقتصادية وهبوط أسعار البورصة المفاجئ، كمسألة عامة تؤثر على النسق الكلي (المجتمع)، أما "راسل" فيرى بأن التماسك الإجتماعي لا يكون إلا إذا احترمنا الحرية الفردية للأشخاص، ثم انعكاس ذلك على المجتمع ككل.

إن الرأي الأول انطلق من الكل ليصل إلى الجزء، والرأي الثاني فانطلق من الجزء ليصل إلى الكل، لكنهما جميعا وحّدهُما الهدف، وهو التماسك الإجتماعي، إن التماسك الإجتماعي لا يتحقق إلا بتضافر جهود الهيئات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والدينية، كما يجب على القادة أن لا ينظرون إلى "

السبوع " مثلا في منطقة تيميمون، نظرة إعلامية سطحية مناسباتية، بل وجب أن تكون نظرهم عميقة، ملتمسة مجموع القيم المكونة لهذا " السبوع "، وينقلون ذلك لباقي مناطق الوطن، حتى يتحول من مجرد احتفالية، إلى رمز للتماسك والتضامن والتكافل.

قائمة المصادر: والمراجع

أولا: قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. الحديث النبوي الشريف.

ثانيا: قائمة: المراجع

1- المراجع العربية:

أ- الكتب

1. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط5، 1984.
2. البستاني محمود. الإسلام وعلم الإجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1994.
3. بارك جاك وآخرون. ت: عبد الأحد السبتي. الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.
4. برديائف نيقولاي. ت: فؤاد كامل عبد العزيز. العزلة والمجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982.
5. بركات حليم. المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1998.
6. جيدنز أنطوني. مقدمة نقدية في علم الإجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الإجتماعية، جامعة القاهرة، مصر، ط2، 2006.
7. حور محمد إبراهيم. الطفل والتراث، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ط1، 1993.
8. دوركايم إميل. ت: الجمالي حافظ. في تقسيم العمل الإجتماعي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1982.
9. عبد العال أحمد عبد العال. التكافل الإجتماعي في الإسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.
10. عيد محمد إبراهيم. علم النفس الإجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000.
11. غيدنز أنتوني. ت: الصباغ فايز. علم الإجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001.
12. فارب بيتر. ت: الكرمي زهير. بنو الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1983.
13. لمبرت وليام. ت: سلوى الملا. علم النفس الإجتماعي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1989.
14. مطر أميرة حلمي. مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1978.
15. منصور عبد المجيد سيد أحمد وآخرون. السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2002.

16.ويستمارك إدواورد. ت: مصباح الصمد وآخرون موسوعة تاريخ الزواج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

ب- المجلات

1. حداد حبيب. "محنة الصراع بين الأصالة والمعاصرة في الحضارات العربية"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 438، 2015.
2. حمدوش رشيد. "بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة"، مجلة العلوم الإجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع11، 2013.
3. الشرقاوي حسن. "التربية النفسية في المنهج الإسلامي"، مجلة "دعوة الحق"، عدد 35، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة، السعودية، 1405 هـ.

2-المراجع الأجنبية:

1. Cartwright & A. Zander. Group dynamics, Research and theory, evanston, 111 Row, Peterson, vol2, 1960.
2. Durkheim Emile. les formes élémentaires de la vie religieuse, Ed Alcan, Paris, 1927.
3. Parsons.T. the social system, routledge sociology classics, iondon, 1991.